طه الراوي

بعد أن كتبتُ الكلمة التي حملت إلى قراء « الرسالة » الخبر المهمّ ، والنبأ الكارث ، نبأ فقيد الأدب العظيم الأستاذ طه الراوي جاءتني هذه « الرسالة » من الأستاذ حسن حبشي مدرس التاريخ بمدرسة المعلمين العالية ببغداد ، وكنت حمّلته بطاقة إلى الأستاذ الكبير رحمه الله ، فقابله قبل وفاته بيوم واحد .

وهي أسطر قيمتها في أنها تتحدث عن الأستاذ في آخر حياته ، وتحمل إلى أصدقائه من أواخر نفحاته .

قال الأستاذ حبشي :

« ما كدت أبلغ عاصمة الرشيد حتى توجهت يوم السبت إلى الأستاذ طه بك الراوي وكنت قد بعثت ببطاقتكم إليه مع الأستاذ جميل سعيد ، وقد رحّب بي الرجل أجمل ترحيب ، وسألني أن أحدّثه عنكم ، إذ هو مشتاق إلى الوقوف على أخباركم ، وقال إنه يعتب عليكم في أنكم لا تجيئون العراق ، مع أنه قد ألحّ عليكم من قبل ، وكان حاضراً المجلس الدكتور مصطفى جواد ، وأنبأني أنه سيكتب إليكم .

ولكن العجيب يا أستاذي أن هذا الأديب الكريم كان ممتلئاً صحة ، وكانت دلائل العافية بادية عليه ، لا تلمح به أثراً من جهد أو تعب ، ولكن ما انقضى اليوم الثاني حتى وافانا نعيه فكان الرزء فيه عظيما . وأي خطب للأدب والدين في العراق أجل من أن يختطف الموت طه الراوي وقد كان ملء السمع والبصر ، وكانت جنازته جنازة دلّت على مكانته ، فقد شيعه كبار القوم ببغداد ، وعارفو فضله وأدبه ، على الرغم من أن المدة بين نعيه وبين تشييعه إلى لحده لم تتجاوز خمس ساعات .

فإن يكن قد كتب إليك فذلك آخر ما كتب ، كما أن رسالتك التي حملتني إيّاها كانت آخر ما تسلّم ، ولا أستطيع يا أستاذي أن أصوّر لك مبلغ حبّه لك مما بدا في حديثه معي ومع سائر زواره في ذلك اليوم ، وإنني لأرجو أن يفسح الله له في جناته بقدر خدمته للأدب والعروبة والدين » .

من نسيم الحياة :

القاضي الفاضل الأستاذ علي الطنطاوي من بقايا السلف الصالح ، يرسل علينا من آن لآخر آيات فيها العظة والاعتبار بأسلوب رشيق وقصص ممتع ، وفيها أيضاً أثارة من قلم أستاذنا الرافعي طيب الله ثراه .

ساق إلينا في « الرسالة » رواية عن شاب مستقيم الخلق والدين عهد إليه بالتعليم في مدرسة ثانوية للبنات ، ثم انتهى به فساد بعض التلميذات إلى الاستقالة من المدرسة ؛ ولي على الكاتب الفاضل ملاحظات :

١ — تغلب عليه روح التشاؤم فيما يكتب ، ونحن في عصر نهوض أو في عصر انقلاب اجتماعي قد نسيء وقد نحسن ، فنحن في حاجة إلى من يروضنا ويبعث فينا روح التفاؤل بأسلوب يهز النفوس هزاً لتنشط إلى السير قدماً في طريق الفلاح والنجاح ، ويحملها على الاعتراف بالخطأ فتتصفو من عيوب المجتمع وتسلك سواء السبيل .

٢ — لقد قدّم لنا بطله في مدارس البنات شاباً ضيق الأفق ضعيف الحيلة أشد حياء من العذراء ، ثم صوّر تلميذته في صورة داعر تعشق معلمها من غير مقدمات ... وليتها فعلت كما قال شوقي :

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء

وما هكذا طبائع الأشياء ، وما كذلك مدارس البنات !

٣ — كثيراً ما تتغلب الفكرة والخيال على الأستاذ الكاتب فيفوته الواقع في قصصه : (فهي فتاة من أنبل الأسر تسرع وراء معلمها فيعف عنها ثم تكتب له :

وإذا رأيتك لا تكلمني ... ضاقت على الأرض والأفق)

وما كان لها أن تخجل وتعرض عن معلمها بعد أن صدّ عنها وأعرض ، حتى هجمت عليه في منزله كالوحش الضاري لتهتك عرضه

لا — يا أستاذ — لقد شط معلمك شططاً بعيداً . ولعلي أصدقك — وقد كنت في ماضي حياتي معلماً بمدارس البنات — فهذه المخاوف التي استولت على ذهنك كنا نتصورها ، أو قريباً منها ، حتى إذا وجدنا أنفسنا في هذا الوسط أحسسنا أن هؤلاء البنات بناتنا والمعلمات أخواتنا ، وزال هذا الخوف الأسود من مشاعرنا ، وصارت الحياة عادية ، وهذا شأن سائر المعلمين في مدارس البنات

فرفقاً بالناس وحنانيك ، وإنصافاً — يا حضرة القاضي — فالأمر إن شاء الله على ما تحب بفضل القدوة الصالحة والتهذيب الصحيح أولا فلتغلق مدارس البنات والسلام

مسنين حسن مخلوف
المفتش بوزارة المعارف

تحية قدوم :

[من الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين إلى الأستاذ أحمد أمين بك بمناسبة قدومه من أوربا] :

سعدت بمقدمك العبـــاد ... يا خصب أذهان البلاد
الشرق يحتفل القـــلو ... ب بكم وإن حال البعاد
بشرى تناقلها البـــلا ... د تناقل النغـــم المعاد
يسرى شـــذاها حاملا ... أمـــلاً إليها في ازدياد

أحمد الزين

مناظرة قصيرة

اطلعت بالعدد ٦٩٤ من مجلة « الرسالة » الغراء على المقال القيم بقلم الأستاذ الكبير على الطنطاوي . وإني وإن كنت من (الرجعيين) أمثال الأستاذ الكبير ، إلا أني أريد أن أنصف النساء والرجال أيضاً فأقول : إن النساء لم يجرمن ولم يذنبن ، (وطالب القوت ما تعدى) ، فموضوع النساء كموضوع الرجال تماماً ، ينحصر في غريزتين اثنتين : وهما المحافظة على الذات والمحافظة على النوع ، وبعبارة أصرح الحاجة إلى الطعام واللباس والغريزة الجنسية ، وكان الزواج يكفي المرأة هاتين الحاجتين ؛ إلا أن الشبان في هذه الأيام — تبعاً للتصور الفكري والمادي — أرادوا أن تكون زوجاتهم على علم يتفق وثقافتهم ، كما رأوا أن الزواج عبء ثقيل لما يتبعه من تربية أبناء وتعليمهم وعلاجهم فأرادوا أن تكون لزوجاتهم ثروة تعينهم .

واضطرت البنت إلى أن تتعلم ، أو اضطر أهلها إلى تعليمها ، واستتبع التعليم حتماً السفور ، ثم اضطرت الفتاة إلى أن تعمل لتكوّن لنفسها ثروة يطلبها الرجال !

وكان لا بد من أن تتطور أفكار الفتاة تبعاً لثقافتها وقدرتها على الكسب ، فرأت لنفسها الحق في شيء من الحرية والاستقلال وهو أمر — إذا لم يتعد حدوده — لا يتنافى مع الدين ولا مع الشرف ولا مع حقوق الزوجية !

وفي فترة انتظار الزوجة المتعلمة الغنية اتصل الشاب ببعض المهتكات — اللاتي كانت المشكلة الاقتصادية أيضاً هي السبب الرئيسي في سقوطهن — فاستمرأ المرعى ووجد الأمر أسهل من الزواج

وظنت الفتاة المتعلمة أن الشبان يفضلون المظاهر الخلابة ، فأرادت أن تتقرب إليهم ببعضها فنفروا من زواجها ! فماذا تصنع؟!

كما رأت أخوات لها تزوجن رجالا ابتزوا أموالهن وجروا وراء شهواتهم وملاذهم ، بل طلقوهن وهربوا من النفقة ! فأصبحت هي أيضاً تخشى الزواج !

ومن هذا ترون أن المشكلة أشد تعقيداً من أن ينفع فيها لوم المرأة ، والمرأة وحدها . إنها مشكلة الجوع والحرمان — المادي والمعنوي — مشكلة العصر الحاضر كله ، والذين وضعوا أسسه ونظمه هم الرجال لا النساء . . فما ذنب المرأة ؟ !

الشاب يحب أن يتزوج فتاة مثقفة محتشمة ، والفتاة تريد أن تتزوج رجلا يرعاها ولا يظلمها ، ولكنهم جميعاً يخشون المستقبل ، ولا ضمان لهم ، فلا التعليم مباح لأبناء الفقراء ، ولا العلاج ميسر للمرضى ، ولا العمل مكفول للعاطلين والعاطلات !

فليس التعلم إذن ولا السفور مسئولين عن هذه التبعة الثقيلة ، ولو كانت الفتاة جاهلة ومحجبة وحُرمت الزواج ، لما كانت الحال أحسن ، بل تكون أسوأ ، لأن الجاهلة لا تجد ما يشغلها ، وكل ممنوع محبوب ومطلوب !

صحيح أنه يوجد في التعليم والاختلاط أخطاء وضحايا ، ولكن العلاج ممكن ببعض التنظيم والتهذيب ، فالفضيلة أسهل من الرذيلة التي لا يلجأ إليها الإنسان إلا مضطراً لسوء الظروف أو سوء التربية

إن الزمن يتطور ، والنظريات تتغير ، وإن التيار جارف شديد لا يمكن اعتراضه ، ولكن يمكن توجيهه إلى الخير ، إذا صلحت النيات وقويت العزائم

والمشكلة الرئيسية مشكلة اقتصادية — كما أوضحنا — فإذا أراد أولياء أمورنا حلها ، فعليهم أن يوفروا للرجال والنساء حاجتهم من العيش والزواج بكرامة واطمئنان ، ليوفروا التعليم للفقراء ، والعلاج للمرضى ، والعمل للعاطلين ، ليكفوا الناس شرور الفقر والجهل والمرض !

وبغير هذا (فصاحب الحاجة أرعن) ، ولا فائدة من اللوم ولا من الكلام !

فؤاد السيد جليل